فاعلية التدرّج والتصعيد والحجاج في أدب الخطاب القرآني "سورة غافر أنموذجا" دراسة تداولية

د.هاجر أحمد رشيد المومني
hajarmomani@yahoo.com
الجامعة السعودية الإلكترونية - كلية العلوم والدراسات النظرية - قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها

الملخص
تناولت هذه الدراسة عدداً من مظاهر أدب الخطاب في سورة غافر، لأنّ النص القرآني جمع كثيراً من الخصائص الخطابية بوصفها آليات تداولية تعنى بالكشف عن مواطن أدب الخطاب فيه. فالانطلاق من النص الحكيم يمكّن من تحديد درجة الفاعلية في الخطاب، وبيان مقدار الأثر الذي يؤدي إلى التفاعل بين المتكلم والمستمع. ويعدّ التدرج أثراً من آثار الفاعلية وآلية من آليات التصعيد الخطابي.
وتوصلت الدراسة إلى تعريف جامع مشترك لمصطلح فاعلية التدرّج التي تبنى عليها هذه الدراسة، لما لها من أثرٍ في الكشف عن أدب الخطاب الذي تسهم في بنائه المظاهر اللسانية. وكان من أبرزها ظاهرتي التصعيد والتدرّج، لأن التصعيد آلية خطابية تبيّن مقدار التدرّج في الخطاب، فالتصعيد وسيلة من وسائل الفاعلية التي تؤسس التواصل الفعال بين المتخاطبين، باعتمادها على صيغ وأساليب لغويّة ومعجميّة لبيان مقدار التصعيد في سورة غافر.
وتحدّثت الدراسة عن الحجاج أحد آليات فاعلية التدرّج الذي يكسبها القوة التأثيرية الإقناعية، لأنها تخضع إلى الاستدلال والبرهنة. فناقشت الحجاج المغالط، والحجاج التوجيهي اللساني، وحجاج التضليل، والحجاج الاستدلالي، وحجاج المقارنة، والحجاج الجدلي، ومثّلت بآيات من سورة غافر على كلّ نوع من أنواعه.

Effectiveness of Graduality, Escalation and Argumentation in Quranic Politeness Discourse “Surat Ghafir a Model” A Pragmatic Study

Dr. Hajar Ahmed Al-Momani
University of Saudi Electronic - College of Science & Humanity Studies

Abstract
Theauthor addressed politeness discourse in “Surat Ghafir”. Quran texts include many rhetorical utterances which are considered pragmatic mechanismsconcerned with finding polite discourse. examining these texts allow to determine the effectiveness degree in the discourse, and to find the effect level that leads to interaction between the speaker and the listener. Graduation is considered an effect and a mechanism of discourse escalation.
The author reached a common definition of the graduation effectiveness term, due to its importance in finding polite discourse that is constructed by lingual manifestations some of which are escalation and graduation. Escalation is a mechanism to show the level of discourse graduation, it is a means of effectiveness that establish effective interaction between speakers by lexical and linguistic formulas and styles to show escalation amount in “Surat Ghafir”.
Argumentation is examined being a graduation effectiveness mechanism that gives aneffective persuasive power, because it is subjected to inference and reasoning.Fallacy, lingual, deceptive, deductive and comparative argumentationtypes are discussed, examples from “Surat Ghafir” are provided for each type.

الدراسات السابقة

١. التأدب في التعامل اللغوي.إعداد الباحث أحمد شيخ عبد السلام. أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " ٢٠٠٠.
إذ عدَّ التأدب مظهراً من مظاهر الجمال اللغوي، كما أنّ من التأدب" التلطّف في التعبير وتجنب العبارات المحظورة اجتماعياً"، حيث بيّن أغراضه وأهميته، والعوامل المؤثرة فيه.

٢. أدب الخطاب. للدكتورة وسمية عبد المحسن المنصور. جامعة الملك سعود، الرياض. ٢٠٠٥. إذ بينت فيها طبيعة اللغة بأنها نشاط إنساني مختزنة في الوعي الفردي والجمعي يوظفها المتحدث؛ ليحقق أهدافاً عدة، فلكلّ مقام مقال. وترى أن أدب الخطاب يقتضي حسن اختيار الكلمات وأدوات الخطاب غير المنطوق. كما يعدّ من المباحث اللغوية التي يهتمّ بها علم اللغة النفسي والاجتماعي.
٣. أدب الخطاب عند الأنبياء من منظور قرآني " موسى عليه السلام أنموذجاً ". إعداد الدكتور عودة عبد عودة عبدالله. قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠١٠. "وقد عالج البحث هذا الموضوع في اتجاهين، الأول: تحليل التوجيهات القرآنية التي تحث على الالتزام بأدب الخطاب بوجه عام، وأدب الخطاب عند الأنبياء بوجه خاص. والثاني: الوقوف على أنموذج تطبيقي هو أدب موسى عليه السلام في خطابه مع قومه بغرض استلهام الدروس والعبر"
٤. التلطّف في لغة القرآن الكريم. إعداد الباحث أحمد فليّح العموش. جامعة آل البيت، ٢٠١١. وقد كشفت هذه الدراسة عن أسلوب التلطّف في القرآن الكريم، ورصد مواطنه وأبعاده السياقية، ووظيفته ودوافعه، واعتمدت على بُعدين نظري وتطبيقي، البعد النظري يتعلّق بالتلطّف في آيات القرآن الكريم مفهوماً واصطلاحاً، وبيان المجالات التي يرد بها التلطّف، أمّا التطبيقي، فقد تمّ رصد مواطن التلطّف في آيات القرآن الكريم، وتحليلها على وفق الدافع من وراء التلطّف.

أهمية الدراسة

يقدم هذا البحث أنموذجاً تطبيقيّاً في تحليل أدب الخطاب في سورة غافر، والكشف عن أبعاده ضمن محاور معينة، إذ يهدف إلى إبراز جماليات الخطاب القرآني، فالمظاهر اللسانية لها دور في بيان مواطن أدب الخطاب، ومن أبرز هذه المظاهر: التصعيد والتدرج، والحجاج، وتعدّ هذه الدّراسة دراسة تداولية تطبيقيّة تكشف عن دور المظاهر اللسانية في تشكيل أدب خطاب سامٍ.

المقدمة

يتماز النص القرآني الحكيم بأنه خطابٌ محكمٌ. فيه ألوان عديدة لاتساق الخطاب وتماسكه. فالنص القرآني العظيم أكثر النصوص اللغوية احتواء على مظاهر أدب الخطاب، فكيف لا وهو خطاب إلهي موجّه إلى بني البشر بقصد توجيههم إلى الخير والصلاح. فكان لا بدّ من اختيار أحد نصوصه ليكون موضوع هذه الدراسة، لأنه عرض للعديد من قصص الأنبياء التي جرى فيها الحوار والجدال والإقناع وغيرها من ألوان الخطاب.

ولقد تم اختيار سورة غافر لتكون موضوع الدراسة على وفق المنهج التداولي، إذ يُبرز هذا المنهج العديد من المظاهر اللسانية في السورة الكريمة، حيث ناقشت هذه الدراسة ظاهرتي التصعيد والتدرّج، كما تعرّضت إلى بيان مواطن الحجاج على وفق المنهج التأويلي التداولي، فكشفت عن بعض مواطن أدب الخطاب في السورة الكريمة.

مدخل

تعددت مفاهيم اللسانيات النصية وما يتصل بها من مفاهيم الخطاب، وأخذت أبعاداً تداولية في تحليل النصوص، ووقفت على جمالياتها بآلياتها ووسائلها اللغوية، ولعلّها أكثر المجالات التي تحلل النص القرآني الكريم، الذي تميّز بأساليبه اللغوية الرفيعة. والهدف من هذه الدراسة الوقوف على بعض خصائص أدب الخطاب في سورة غافر.

أقام القرآن الكريم أساليب الخطاب على خصائص كثيرة منها: التدرج في الخطاب القرآني بوصفه آلية خطابية تعنى بالكشف عن العلاقات اللسانية التي تتضمنها السورة الكريمة؛ إذ إن الانطلاق من النص القرآني يمكّن من تحديد درجة الفاعلية في الخطاب والتدرّج فيه. فمفهوم الفاعليّة لغة مأخوذ من الفعل (فعل) وهي "كون الشيء فاعلاً"[١]. ومن وجهة النظر الاصطلاحية " الفاعلية عبارة عن قدرة الإنسان على استعمال وسائله الأولية، واستخراج أقصى ما يمكن أن يستخرج منها من النتائج"[٢].

تعد الفاعلية أحد أسس الحجاج؛ لأنها تقوم على مبدأين أساسيين هما: مبدأ الادعاء ومبدأ الاعتراض، إذ يؤديان إلى اختلاف في الرأي، ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع والانتصار للرأي، فينشأ عن ذلك ازدواج في القصد، فيحصل التفاعل المباشر وهو الوعي بالقصدين عند المتكلم والسامع[٣]. وهذا ما يتطلع إليه المرسل عند حدوث الفاعلية الذاتية من استحضار لجميع الأفكار المتعلقة بالنص لصياغته ضمن الهدف الذي أنشئ من أجله، وعند المتلقي لمعرفة مدى فهم القصد منه. والفاعلية المباشرة تتدرّج في قوتها بالاعتماد على مضمون النص ومقاصد المرسل وأساليبه، وقدرة المتلقي على الفهم والتأويل.

وعند النظر إلى مفهوم التدرج في الصحاح:" درج الرجل يَدْرُجُ دُرُوجَاً أي مشى ودَرَّجَه إلى كذا واسْتَدْرَجَه ، بمعنى: أدناه منه على التدريج، فتَدَرَّجَ هو"[٤] وقال في المصباح المنير:" واستدرجته أخذته قليلاً قليلاً ."[٥]وفي المعجم الوسيط (تدرّج) مطاوع درّجه، وإليه تقدّم شيئا فشيئا وفيه تصعّد درجة درجة"[٦]. أما مفهوم التدرّج في الاصطلاح:" الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة، للبلوغ إلى الغاية المنشودة"[٧].

بالرجوع إلى التعريفات السابقة فإنه باستطاعتنا أن نضع تعريفاً جامعاً ومشتركاً لمصطلح **فاعلية التدرّج**؛ هي التوجه من نقطة إلى ما يتلوها في الترتيب المنطقي، حيث تعمل الطاقة الفكرية الكامنة على بناء الأفكار، وربط بعضها

ببعض لإنجاز عمل ما ضمن تسلسل وتدرّج فكري يستدعيه المقام والسياق اللغوي للحصول على نتائج إيجابية لتحقق الهدف المنشود منها.

إذن لابدّ من أن تتوافر شروط معينة في فاعلية تدرّج الخطاب حتى نضمن له النجاح المأمول، إذ تعد قصدية الخطاب شرطاً من شروط فاعلية التدرج الخطابي؛ لأنه يظهر رغبة المتكلم في استدراج المخاطَب إلى الاقتناع برأيه، وحمله عن طريق البرهان على تعديل موقفه، كما أنّ قيمة الخطاب تعدّ شرطاً هاماً من شروط الفاعلية، فتظهر قيمة الخطاب عند التلقي متأثرة بسياق المقام، والظروف المحيطة بالمتكلم والمتلقي[٨].

هناك آليات واستراتيجيات تعمل بكامل طاقتها لبيان أثر فاعلية التدرج في إظهار أدب الخطاب في النص القرآني الحكيم وغيره من النصوص، ولعل من أبرز هذه الآليات استعمالا هي:

- **التصعيد والتدرج**

للتصعيد معان لغوية مختلفة ذكرتها المعجمات العربية ففي لسان العرب في مادة (صعد) صَعِدَ المكانَ وفيه صُعُوداً وأَصْعَدَ وصَعَّدَ ارتقى مُشْرِفاً، قال الفراء الإِصْعادُ في ابتداء الأَسفار والمخارج تقول أَصْعَدْنا من مكة وأَصْعَدْنا من الكوفة إِلى خُراسان وأَشباه ذلك فإِذا صَعِدْتَ في السُّلَّمِ وفي الدَّرَجَةِ وأَشباهه قُلْتَ صَعِدْتُ ولم تقل أَصْعَدْتُ، وقرأَ الحسن "إِذ تَصْعَدُون" جعل الصُّعودَ في الجبل كالصُّعُود في السلم... ويقال صَعِدَ في الجبل وأَصْعَدَ في البلاد، ويقال ما زلنا في صَعود وهو المكان الذي فيه ارتفاع[٩].

والتصعيد: هو المنزلة العالية، ويقال: أَصْعَدَ: أتى مكّةَ[١٠]. وفي المعجم الوسيط مادة (صعد) في الجبل وعليه، وعلا الدرجة رقي. وصعّد فيه النظر نظر إلى أعلاه وأسلفه يتأمله. ويقال صعّد الحرب زاد في حدّتها[١١]. ويدور مفهوم التصعيد في اللغة حول التدرج في الصعود والارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، كصعود الجبل، أو مكان مرتفع، أو الوصول إلى أقصى درجات الشدة والحدة[١٢].

يعرّف أحد الباحثين مفهوم التصعيد في الخطاب القرآني بأنّه:" توسيع دائرة الخطاب القرآني تدرجاً في القوة والشدة، ليصل إلى الذروة والتأزم في موضوع ما كالمجادلة في القرآن الكريم، باستخدام اللفظ والدلالة المناسبين في المكان المناسب، وكذلك بتتابع المقاطع الصوتية والفواصل القرآنية، وبملاحظة الأبعاد الصرفية والنحوية والمجازية والنفسية والاجتماعية"[١٣].

التصعيد في الخطاب: هو الانتقال من موقف إلى ما فوقه في شدة التأثير وقوة الردع، ومن درجة إلى ما هو أعلى منها في المواجهة والإثارة، والانتقال المنطقي من الفكرة البسيطة إلى المركبة التي تستدعي استحضار الأفكار جميعها في أثناء عملية التخاطب، وتتوالى عملية الاستدعاء حتى ترقى إلى أعلى درجاتها حينما يصل الخطاب أقصى درجات الحدة والإقناع عندها يصل إلى الغاية المطلوبة، وبعدها يأخذ التصعيد بالتراجع السلبي حتى يصل إلى مرحلة الصفر. فالتصعيد أداة تخاطب ذات وجهين: فقد تكون من الأدنى إلى الأعلى وهو التصعيد الايجابي، وقد تكون من الأعلى إلى الأدنى وهو التصعيد السلبي.

نجد التصعيد والتدرّج في قوله تعالى:﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ ﴾(غافر:٣)(فقد تفضل على عباده بالمغفرة، ووعدهم بقبول توبتهم، وباستخدام أسلوب الترهيب في" شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ" نلمح هنا أنّ الله عدلٌ يعطي كلاً جزاءه. فمن وسائل التصعيد: الترغيب والترهيب، فقد تدرّج النص في إرشاد الناس وتحفيزهم، فقبل توبة التائب منهم، فمن قصّر في حقّ نفسه ولم يغفر له كان الله شديد العقاب[١٤]. ولم يعطف ربّ العزة شديد العقاب على قابل التوب؛ لأن الموضوعين مختلفان: فالأول في الترغيب، والثاني في الترهيب، فلو عطف لجمع بين الشدة وقبول التوبة، فلا تجتمع الرحمة والعذاب الشديد في آن واحد. لذلك كان الفاصل اللفظي لوجود فاصل حسيّ[١٥]. فظهر التصعيد الإيجابي في الترغيب عند قوله: "غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ" في حين زادت حدة الخطاب توتراً بالترهيب عند قوله: "شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ".

يستمر التصعيد في قول الله عزّ وجلّ: " ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير" أي هو الغنى عمن لا يقول:"لا إله إلا الله"، وصاحب المنّة على عباده الذين عفا عن ذنوبهم، وصاحب التفضل على من لا يستحق إحسانه. ويصل التصعيد ذروته عند قوله: "إليه المصير"، ففي هذا تنبيه لمن أنكر أن "لا إله إلا الله" بأن الرجوع إليه، وعند رجوعهم إليه سوف يلقون عقاباً شديداً، وقد قدّم الحديث عن مقدار العذاب الذي سيواجهونه، فقوله: "إليه المصير" تذكير بما تقدّم[١٦].

بناء على قوله تعالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ نشأ استئناف بيانيّ لأنّ القرآن منزل من عند الله، إذ ينشأ في نفوس السامعين تساؤل، حيث يقولون: فما بال هؤلاء المجادلين في صدق نسبة القرآن إلى الله لم تقنعهم دلائل نزوله من الله، فيجيب[١٧] بأنه:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾(غافر:٤) فهذه الإجابة تصف شدة كفرهم، لأنّ من آمن لا يجادل في آيات الله، وجدالهم هذا أعظم من إشراكهم،لأن القصد منه دحض الحق، وإطفاء نور الله تعالى[١٨]، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(غافر:٥)[١٩]، وهنا نلحظ أن التسلسل والتدرّج قائم على المعضلة الأساسية وهي "الجدال"، ثمّ التدرّج في حصر الجدال في "الذين كفروا"، فالكشف عن القصد من الجدال، بأنهم أرادوا به دحض الحق وإطفاء نور الله، فذكر عملية الجدال والقائم بها، وأسبابها جاء من قبيل التدرّج، ثمّ

قوله: "فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" فيه تصعيد شديد، لأنه بلغ أقصى مدى له عند تنكير كلمة "عقاب" فكيفية العذاب غامضة لا يعرف ماهيّتها ولا طريقتها أحد إلا الله، فالتنكير يوحي بألوان من العقاب، وهذا تصعيد نفسي كفيل بأن يثير الرعب في النفوس.

إن الحديث عن عموم العقاب يعدّ ملمحاً تصعيدياً، إلا أنّ هذا التصعيد جاء متدرّجاً وأخذ يزداد حدّة عندما أوجب ربّ العزّة عقابهم الشديد بقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ (غافر:٦) فكان التدرّج آلية تصعيدية؛ فالجدال بآيات الله، ما كان إلا كفراً به وبآياته، والقصد منه إطفاء نور الله، ودحض الحقّ، فترتب على الكفر بالآيات ودحض الحق، أن أعد لهم عقاباً عظيماً، ثم وجوب ولزوم دخول الكافرين النار. فوصل التدرّج إلى أقصى درجات التصعيد إذ أوجب الله دخولهم النار. وفي هذا الحكم تحدٍّ للكافرين بأنه أوجب عليهم النار، وذلك باختيارهم عندما جادلوا في آيات الله في حياتهم الدنيا، فعظمة كلام الله أنه تحداهم في أمر كان فيه اختيار لهم، والكفر كان باختيارهم فكان جزاؤهم النار. فكلمة الله "ما حقت عليهم بجبروت وقهر، وإنما حقّت عليهم باختيار منهم"[٢٠].

يستخدم التصعيد النفسي وسيلة دفاعية لا شعورية في أحيان كثيرة، حيث يلجأ إليها الإنسان للدفاع عن ذاته أمام الآخرين للحفاظ على صورته، غير أنه يعجز عن استخدامها يوم القيامة ففي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾(غافر:١٠-١٢) فقد استخدمت الملائكة هذا التصعيد مع الذين كفروا بصورة مختلفة؛ فقد جاء التصعيد النفسي لتحطيم صورتهم أمام أنفسهم فيزدادوا ألما وحسرة بسبب كفرهم وعصيانهم بعدما ألقوا في النار فقالوا لهم: " لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ".

إن المقت في اللغة هو أشدّ الإبغاض[٢١].ويقول سيبويه:(هذا باب ما أفعله على معنيين) "تقول ما أبغضني له وما أمقتني له وما أشهاني لذلك إنما تريد أنك ماقت، وأنك مبغض. فإن عنيت غيرك قلت: ما أفعله إنما تعني به هذا المعنى. وتقول ما أمقته وما أبغضه إلي! إنما تريد أنه مقيت وأنه مبغض إليك كما أنك تقول ما أقبحه وإنما تريد أنه قبيح في عينك"[٢٢].

فالتصعيد هنا يتشابه ويختلف في آن واحد، فعندما اختار ربّ العزة "المقت" وهو المصدر الذي لا يرتبط بزمان محدد، وهو أساس الشيء ومنبعه، ولا بدّ أنه أبغضهم أشدّ الإبغاض، وأراد لهم أقسى العذاب، فمقته لهم يوم كانوا يدعون إلى الإيمان فيكفرون أشدّ من مقتهم لأنفسهم وهم يدخلون النار.

فالمقت أراد به وجهين: فالكفار في الحياة الدنيا كانوا محبين لأعمالهم البغيضة عند الله تعالى، في حين أن الله تعالى أبغضهم، وأبغض أعمالهم أشدّ البغض، وأراد لهم العذاب الشديد. أما في الآخرة عندما يلقون في نار جهنّم فسيبغضون أنفسهم وما كانوا يعملون في الحياة الدنيا، لأنّ الله سيعذّبهم العذاب الشديد. فكلمة المقت حملت دلالتين لغويتين: فالمقت لأنفسهم ولبعضهم في الحياة الآخرة لا يعدل مقت الله لهم ولأعمالهم في الحياة الدنيا. و""لمقتُ"هذه لام الابتداء وقعت بعد " يُنادَوْنَ"؛ لأن معناه يقال لهم والنداء قول"[٢٣]. فالنداء أول مراحل التصعيد، ثمّ الإخبار عن مقت الله لهم في الدنيا أكبر من مقتهم لأنفسهم ولبعضهم في الآخرة، إذ يبيّن الله سبب هذا المقت، أنه أرسل رسله ليدعوهم إلى الإيمان فكفروا، فكفرهم هذا أوصلهم إلى ذروة المقت لهم عند الله تعالى.

يتصاعد الخطاب حتى يصل إلى التوسل ففي هذه الآية "جواب عن النداء الذي نودوا به من الله تعالى، فحكى مقالتهم على طريقة حكاية المحاورات بحذف حرف العطف، طمعوا أن يكون اعترافهم بذنوبهم وسيلة إلى منحهم خروجاً من العذاب خروجاً ما؛ ليستريحوا منه ولو بعض الزمن، وذلك لأن النداء الموجه إليهم من الله أوهمهم أن فيه إقبالاً عليهم؛ والمقصود من الاعتراف هو اعترافهم بالحياة الثانية لأنهم كانوا ينكرونها، وأما الموتتان والحياة الأولى، فإنما ذكرتا إدماجاً للاستدلال في صلب الاعتراف تزلفاً منهم، أي أيقنوا أن الحياة الثانية حقّ وذلك تعريض بأن إقرارهم صدق لا موارية فيه ولا تصنع، لأنه حاصل عن دليل، ولذلك جعل مسبباً على هذا الكلام بعطفه بفاء السببية في قوله: ڈ ڈ".[٢٤]

تعد محاولة الاستعطاف التي سلكها الذين كفروا من قبيل التصعيد الصفري؛ فهي مرحلة مساومة وتوسل ورجاء والدليل على ذلك قولهم:"فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا " لعلّهم يصلون إلى النجاة، ثم تتزايد وتيرة التصعيد بسؤالهم: "فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ". " فالتمني غير مطموع في حصوله"[٢٥]، فهم يعرفون الإجابة ويدركونها، إلا أنهم تمنوا الخروج من أيّ سبيل، فقد قال جلّ وعلا: " إلى خروج " فحرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية الزمانية دليل على أن زمن التوبة والإيمان قد انتهى فلا ينفع الرجوع . أما تنكير كلمة سبيل فقد جاءت للدلالة على الضلال والعصيان الذي أخذهم كل مأخذ فحادوا وابتعدوا عن الطريق القويم، وسلكوا سبل الباطل حتى مقتهم الله ومقتوا أنفسهم، وكما كانوا يسلكون سبل العصيان في حياتهم ظنوا أنهم سيجدون أي سبيل للخروج من هذا المأزق، ويتوالى التصعيد شدّته حتى يصل إلى العتاب بقوله: " إذا دُعي الله وحده كفرتم ". والدعاء هو: النداء، والتوجه بالخطاب.[٢٦]

إنّ التصعيد في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر:٧٠-٧٦) يأخذ منحى جديداً في التدرّج والشدة باستخدام الاسم الموصول" الذين"، حيث يعدّ هذا الاسم عنصراً إحالياً، وهو من أدوات التعريف؛ إلا أنه لا يكشف عن المعنى المراد بنفسه، وإنما صلة الموصول هي التي توضّح موطن التصعيد. لذا نجد ما بعده يبيّن التنديد والوعيد للذين كذّبوا بالكتاب الذي جاء من عند الله، وكذلك "بما أرسلنا به رسلنا من الكتب قبل نزول القرآن، فيكون تكذيبهم ما أرسلت به الرسل مراداً به تكذيبهم جميع الأديان"[٢٧]. والمقصود من الرسل هنا "محمد" عليه الصلاة والسلام.

- **الحجاج**

الحجاجُ لغةً: فقد ورد في تاج العروس في مادة (حجج) "سَلَكَ المَحَجَّةَ، وهي الطَّرِيقُ. وقيل: جَادَّةُ الطَّرِيقِ ، وقيل: مَحَجَّةُ الطَّرِيقُ: سَنَنُه، والجمعُ المَحَاجُّ، تقولُ: عليكم بالمَنَاهِجِ النَّيِّرةِ، والمَحاجِّ الواضِحَةِ، والحُجَّةُ بالضَّم: مصدرٌ بمعنى الاحْتِجَاجِ والاستِدْلال"([٢٨]).

وجاء في لسان العرب في مادة (حجج) وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه. قال الأَزهري: إنما سميت حُجَّة؛ لأَنها تُحَجُّ أي تُقتصد، لأَن القصد لها وإِليها فالحُجَّةُ الدليل والبرهان([٢٩]).

أما **الحِجاج اصطلاحا** فهو: تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ويتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، كما يتمثّل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغويّة وبعضها بمثابة النتائج التي تستنتج منها كون اللغة لها وظيفة حجاجية وهذا يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة([٣٠]).

يُعرّف الحِجاج من وجهة نظر **اصطلاحية تداولية بأنّه:** بنية لغوية مركّبة تنفعل بالمقامات وتتأثر بالسياقات. فالحجة تعدّ كيانا مجردا وهيكلا فارغا يشغله المؤوّل بالتصورات والمواقف التي تتوافق مع مبادئه واعتقاداته وتتوازى مع منهجه الفكري على وفق نسق استدلاله وتصوراته للأشياء([٣١]).

فالحجاج: علاقات وبنى لغوية متسلسلة ذات أدلة عقلية مجردة وغير مجردة، تتأثر بالسياق والمقام وتكتسب قوتها منهما، وتؤدّي إلى الربط بين البنى اللغوية المختلفة بما يخدم وجهة النظر التأويلية المحتملة عند المؤوّل، وتخضع إلى الاستدلال والبرهنة المنطقية التي تقنع السامع وتؤثر فيه، وتعين على إدراكه لحقيقة المقصود من الخطاب.

وفي ضوء هذا الفهم يعدّ النص القرآني سلسلة من العلاقات الحجاجية المؤلفة من البنى اللغوية المتسلسلة القائمة على الاستدلال والبرهان؛ لإفهام المقصود من النص الحكيم وفق منهج إلهي يرمي إلى التأثير في المخاطبين. وعند دراسة آي الذكر الحكيم في سورة غافر نقف على العديد من المواطن الحجاجية التي تكشف طبيعة الحجاج وأثره في إقناع المخاطبين.

- **الحجاج المغالط**

يظهر الحجاج المغالط في طرح نية فرعون على الملأ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ (غافر:٢٦) فهناك صور للحجاج يسلكها دعاة الباطل ضد دعاة الحق، وذلك بقلب الحقائق لقلب الموازين في العقول، وزعزعة المفاهيم في الأذهان، وهذا ما فعله فرعون. فقد أظهر أنّه حريص على دين قومه، ويخاف أن يضلهم موسى ومن آمن معه فيقول: "ذروني أقتل موسى" فهو يريد قتل موسى بسبب خوفه من أن يبدّل دينهم. ففرعون الذي ادّعى الألوهية نادى في قومه لغاية في نفسه، حيث يقول ربّ العزّة: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(الزخرف:٥١ (، وفي آية أخرى يروي القرآن ما قاله فرعون: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف:٥٢) فأراد الحفاظ على هذا الإدّعاء أمام قومه، وأنه يخاف على دينهم أن يبدّله موسى[٣٢].

فالسبب الذي تذرع به فرعون" إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ" فهذه الجملة تعليل للعزم على قتل موسى[٣٣]. وهي عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه لأجل عنصر دلالي آخر وهو " قتل موسى " فالعلاقة التي تربط بين الحجة التي قدّمها فرعون لقومه والنتيجة التي توصّل إليها من قتل موسى تعدّ علاقة حجاجية[٣٤]، فحجاج فرعون هنا مبني على المغالطة، لأنّ قول فرعون يتناقض مع فعله، فهو يخاف على أن يبدّل دين قومه، ولكنه يدعي بأنه الإله الذي تجب طاعته وعبادته. فالقدرة على المغالطة والتضليل والإيهام لدى فرعون كانت دفاعاً عن ذاته، وسعياً وراء تحقيق مصلحته بأن يكون صاحب الأمر والنهي وصاحب السلطة[٣٥].

وتجدر الإشارة إلى أن الحجج التي قدّمها فرعون متسقة ومتناغمة إلا أن المقاصد التي رمى إليها جعلت حجته تغالط مقصده وهدفه. فقد أظهر لقومه أنّه الحريص على مصلحتهم، فجاء بسوق الحجج المقنعة التي تدعّم هذا الإدّعاء، إلا أن المغالطة تكمن في حبّه لذاته، وحرصه على منفعته، فهو لا يأبه لشأن قومه. لاسيّما أن فرعون يخشى في داخله من صدق موسى عليه السلام، لذلك قد يعلم أنّ نفع قومه في تصديق موسى عليه السلام، وهذا ما يهدد منافعه. فمن هنا نجد المغالطة بين الحجة والقصد.

فالحجاج المغالط مبني على المقايسة الواهمة في تقديم حججه، حيث يتناقض قول المتكلم مع أفعاله، وتبدو القدرة على المغالطة والخداع والتضليل واضحة في هذا النوع من الحجاج دفاعاً عن النفس، أو سعيا وراء تحقيق مصلحة معينة، إذ هناك من يرمي قصداً إلى المغالطة، والقصد منه إحراج المخاطبين[٣٦].

- **الحجاج التوجيهي اللسانيّ**

يظهر الحجاج جليّاً في قول الله عزّ وجلّ:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر:٢٨) ، ويتحوّل إلى صورة أخرى وهي ردّ المغالطة، حيث أظهر فرعون مغالطته في موضع سابق، ولكنّ مؤمن آل فرعون يرد هذه المغالطة بالاستفهام الإنكاري" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ " فالحجاج بدأ بالاستفهام، إذ يوجّه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليه للسيطرة على الأحداث، وذهن المتلقي، وتوجيه الخطاب في الاتجاه الذي يريده المرسل، خصوصا عندما تكون منفية مغلقة محددة بإجابة صريحة[٣٧]، ولكن لا يصدر الاستفهام التوجيهي إلا من صاحب سلطة، فمؤمن آل فرعون لم يكن صاحب سلطة سياسية، بل سلطة العقيدة والإيمان هي مصدر التوجيه لديه. وفي هذا الطرح حجاج ديني نابع من قوة العقيدة، حيث يدفع المتلقي إلى بلورة الإجابة في عمل فعلي. فالحجاج الاستفهامي القائم على الحوار والمجادلة المنطقية يعدّ من أبرز أدوات أدب التخاطب؛ لأنه يقود إلى الإقناع والتأثير في الآخرين، لأنه يحاكي العقول.

أراد مؤمن آل فرعون بتساؤله استدراجهم إلى النهي عن الفعل الذي أرادوه، وهو قتلهم لموسى عليه السلام لأجل كلمة بريئة قالها:"ربي"، ونجد أنّ موسى لم يقف على هذه اللفظة لأنها تقتضي مربوباً ولا تقتضي أنه ربٌّ واحد[٣٨]؛ ولهذا أتبعها بلفظ الجلالة " الله " ليحصر الألوهية في الله عز وجل، كما أن حرف التعريف حصر الألوهية في الله ونفي أن يكون لله شريكاً في الألوهية. فالوحدانية وإبطال الشرك يقتضيها لفظ الجلالة"الله"[٣٩]. وكما أراد مؤمن آل فرعون الانتصار لموسى بطريق يخفى عليهم إيمانه به، وأنه من أتباعه فجاءهم بالنصح والملاطفة[٤٠]، وهذا من تمام الأدب في الخطاب. ولا يخرج دور الحجاج عن الإقناع، فهو الطريقة التي تقود المرسل إلى تحقيق هدفه وتأكيد حجته في ذهن المتلقي، فهذه ممارسة تخفي الذات وراءها مجموعة من ميولات المرسل[٤١]. فتداولية السؤال الإنكاري أفادت الشك بالفعل وإنكاره، ونهي المخاطبين عنه، وهذا حقيقة ما ذهب إليه مؤمن آل فرعون في سؤاله. وهو تنبيه للمخاطبين حتى يرجعوا إلى أنفسهم، فيخجلوا ويرتدعوا، ويعوا الجواب بأنهم يهمّون بفعل ما لا يستوجب فعله، فإذا راجع المخاطب نفسه تنبه وعرف الخطأ، فإذا أصرّ على رأيه كان مفترياً[٤٢]. ويشكك المرسل بفعل المرسل إليه الذي يخطط له كما في قوله تعالى:" وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ"إذ نجد المرسل يرتقي بحجته، بعد أن استأنس بخطاب قومه في الكلام الموجّه إليهم، بالتصريح بتصديق موسى أنّه جاء بالبينات،[٤٣] ليقينه أنّ البينة لها تأثير واضح على أصحاب التدبّر، فهي أمر واضح لا يخفى على من يعي ويتدبّر. واستخدام حرف التحقيق" قد" زيادة في التشكيك بما خططوا له من قتل موسى، يؤكد استخدام الجمع " البينات "صدق موسى، ويزيدهم تشككاً في قرارهم، لأنها ليست بيّنة واحدة، إنّما بيّنات متعددة تدلّل على صدقه.

إن أسلوب الشرط آلية حجاجية مضمرة لمغزى الخطاب. إذ يوجه مؤمن آل فرعون الخطاب وجهة أخرى وهو يوهمهم أنّه يشكّ في صدق موسى عليه السلام، فكلامه مشتمل على احتمالي تصديق وتكذيب، وبذلك يؤوّل كلامه بأنه في حالة نظر وتأمل، ليلفت نظر فرعون وقومه إلى أدلة صدق موسى بطريقة غير مباشرة دون استثارة غضبهم.

فتقديم احتمال الكذب على احتمال الصدق عند موسى فيه إبعاد لظنهم به أنه من أنصار موسى، وكأنّه في ذلك مهتم بأمر قومه أولاً[٤٤]. فالشرط إستراتيجيّة حجاجية مضمرة تدعو إلى النظر والتأمل في أدلة موسى عليه السلام. فالإستراتيجية الحجاجية التي يضمرها مؤمن آل فرعون في خطابه لقومه، وتحجب ظهورها أبنية الخطاب نفسه مدعاة إلى النظر والتأمل، فهذه الأبنية تجعل المتلقي يتفاعل من حيث لا يشعر مع إرادة المرسل المضمرة، فيبدأ النظر والتأمّل لكشف مصداقية الأدلة المقدّمة من موسى عليه السلام.

فالتضاد الوارد في أسلوب الشرط غايته لفت النظر بأن الكاذب من المحال تصديقه، وبتقديم الكاذب كان لإضمار حقيقة توجّهه، كما أنّ الدلائل المعجزة علامة على صدق من جاء بها. وفي هذا إشارة إلى وعيد يصيب المكذبين في الحياة الدنيا، ودليل ذلك قوله: " يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ" لأنه يدرك تمام الإدراك بأن عذاب الله إذا جاء فإنه يأتي كلّه لا بعضه، ولكنّه اختار ما ينصحهم ويرشدهم به ليصدّقوا قوله.

يقصد في التأكيد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ تزكية هذا المؤمن الذي هداه الله إلى الحقّ، فنفي الهداية عن المسرف الكذاب تأكيد على تقوى هذا المؤمن. وهذا حجاج مضمر فما اهتدى إليه هذا المؤمن لم يهتدِ إليه فرعون وقومه الذي بلغ فيه الإسراف إلى حدّ القتل، وبلغ الدرجة القصوى في الكذب عندما ادّعى الألوهية. فاسم الفاعل وصيغة المبالغة تدلان على التجدد والتنوّع في الإسراف والكذب. فلو كان فرعون وقومه مهتدين لما تعجلوا بقرارهم في قتل موسى، ولما ادعى فرعون الألوهية. فما أضمر من الحجاج بدأت مقاصده بالظهور في التعقيب الوارد في نهاية الآية الكريمة.

يبدو الحجاج بصورة أوضح عندما توجّه مؤمن آل فرعون بالنداء إلى قومه قائلا:﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(غافر:٢٩) فبعدما قدم لهم الحجج المقنعة، وتوسم تأثير حجّته فيهم، وظهر له ضعف قلوبهم تجاه ما ذكره لهم ناداهم؛ لكي يستميلهم لمؤازرته أمام فرعون، فإشراك قومه في الموعظة أدخل في باب النصيحة[٤٥]. فالمرسل عندما يطالب غيره مشاركته اعتقاده فإن مطالبته هذه لا تكتسي صبغة الإكراه، لكنها كانت نابعة من سبل استدلالية اتخذها المرسل ليقتنع برأيه المخاطب[٤٦].

وبما أن الإقناع هو لب العملية الحجاجية فقد بدأ بنصح ووعظ فرعون؛ لأنه صاحب السلطة ومن بيده الأمر والنهي وذلك بقوله:﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فالموعظة جاءت للتذكير بنعمة اللَّه عليهم وهي نعمة الملك والظهور في الأرض، وجاءت للتحذير من الغرور بعظمة ملكهم. ومهّد لتخويفهم من غضب الله باستعمال ظرف الزمان " اليوم" الذي يدلّ على الحاضر، ففيه تلميح خفي إلى أن هذا الملك غير دائم فزمانه مؤقت، فاليوم لا يدوم ينتهي ويأتي غيره، ويتضمن الظرف معنى التعجيل في العذاب. فالملك في الأرض وظهور النعمة يستوجب الشكر لا الإسراف والكذب.

الاستفهام من أنجع أنواع الأساليب اللغوية في الحجاج، إذ إن طرح سؤال قد يؤدي إلى الاختلاف في الآراء حول ما يخاطبهم به، حيث يدرك المرسل أن المخاطب لا يوافقه الرأي[٤٧]. لذا لجأ مؤمن آل فرعون إلى السؤال الإنكاري بقوله:﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ فالاستفهام هنا استخبار عن "الناصر لهم" حيث يطلب مؤمن آل فرعون الخبر عنه من المخاطبين. وعندما دمج نفسه مع قومه في قوله" ينصرنا وجاءنا"، ليريهم أنه يرفض لقومه ما يرفضه لنفسه، فإذا وقع عقاب الله فإنه سيصيب الجميع[٤٨]، وشموله لنفسه مع قومه يعدّ من باب أدب الخطاب على الرغم من أنه يعرف حقيقة إيمانه وصدق ما جاء به موسى عليه السلام. فالاستفهام هنا هو الحجة ذاتها، وهو نمط حجاجي بالقصد المضمر فيه، حيث يؤدي بالمخاطبين إلى التسليم والتنازل[٤٩] عن معتقداتهم السابقة. إذ يدرك المرسل والمرسل إليه تمام الإدراك أنّ هذا ليس استفهاما عن مجهولٍ، لكنّه حجة باعتبار قصد المرسل.

- **حجاج التضليل**

أدرك فرعون أنّه هو المعرَّض به في خطاب الرَّجل المؤمن فقاطع كلامه حيث:﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر:٢٩) ويبدو أنّه يحاجج مؤمن آل فرعون ويخالفه فلديه القدرة على المغالطة والخداع والتضليل والإيهام، فالحجاج المغالط عند فرعون كان دفاعا عن مكانته وسعيا وراء تحقيق مصالحه، كما أنّه يستخدم حجاج السلطة في قوله: "مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ" حيث يعتمد المرسل على أدوات حجاج السلطة القائم على التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي، ويتسم هذا النوع من الحجاج باستسلام المخاطب لرغبة المرسل[٥٠].

كأن فرعون عندما قاطع الرجل المؤمن في كلامه أراد ألا يترك لنصيحته مدخلاً إلى نفوس قومه خيفة أن يتأثروا بها، كما أنه مارس خطاب التضليل قائلا:﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ وفي هذا تحويل لمسار الحجاج غير أنّ حجاجه ينقصه الدليل المقنع، فهو بسلطته أراد أن يوجّه رؤيتهم حسب ما يراه لنفسه، وأن يعتقدوا ما اعتقده، فالرّؤية حسب معتقده علماً أنها تفتقر للدليل والبرهان[٥١]، وفي قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ چ فيه حجاج مضمر و ردٌّ على موعظة المؤمن لقومه فهو لا يهديهم ولا يشير عليهم إلَّا بعمل فيه رشاد. فهذا القول فيه نقض لموعظة الرجل المؤمن كأنّه أراد التعريض بأَنَّ كلام المؤمن سفاهة رأي[٥٢].

والملاحظ على هذا الحجاج أنه يتشابه مع الحجاج المغالط، إلّا أنه أخذ بعدين،أحدهما: دفاعيّ حيث كان فيه مدافعا عن مكانته والصورة النمطية المرسومة لألوهيته عند قومه. والثاني: نفسيّ يهدف إلى ترك أثر في نفوسهم، حتى يضمن عدم تأثرهم بموعظة المؤمن.

- **الحجاج الاستدلالي**

يستمرّ الحجاج الإقناعي المباين من قبل مؤمن آل فرعون، فيقول ربّ العزة على لسانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾(غافر:٣٠-٣١) إذ يواصل تقديم الأدلة المقنعة، ويذكّرهم بما حلّ بالأحزاب قوم نوح وعاد وثمود. فهذا الحجاج يظهر الفوارق بين حجاجين هما، الحجاج الإقناعي السلطوي القائم على الترهيب واستسلام المخاطبين لرغبة المرسل، وهذا ما لجأ إليه فرعون؛ لأنه يعلم أنّ الإقناع يحصل بوسائل متعددة كالتلويح والتهديد والابتزاز والوعد والوعيد. فهذه الوسائل كلها تلغي دور العقل فيصبح المتلقي تحت سيطرة المرسل[٥٣].

والحجاج الإقناعي الاستدلالي القائم على التفكر والنظر في حال الأمم السابقة التي وقع عليها عذاب الله الذي لم يبقِ ولم يذر يُولّد الإقناع عند المخاطبين، فأول مراحله ما ينصب عليه العقل في اختيار الحجّة، وحسن تدبّرها وفقاً لسياق الاحتجاج، فتكون هذه الحجة في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السبيل على السامعين، فلا يجدوا منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها[٥٤]. وأرى أنه عندما قدّم مؤمن آل فرعون حجّته الاستدلالية كان تقديرا لأهمية المرونة في الخطاب تاركاً للمتلقي حرية القبول أو الرفض، أو تبدّل قناعته تجاه ما يلقى عليه، ويعدّ هذا النوع من الحجاج أرقى درجات أدب الخطاب.

يستمر مؤمن آل فرعون بتقديم الأدلة المقنعة، وذلك بتكرار النداء فهو في ندائه ينبه العقول إلى أهمية ما يلقى عليها وذلك بقوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾(غافر:٣٢-٣٣) ففي النداء" يا قومِ " تنبيه تداولي يدّل على حرص المرسل على مصلحة المرسل إليه، ودليل ذلك التوكيد في "إني أخاف عليكم" ففي توكيد الحاضر بعد تداولي، كأنه يستشعر قرب عذاب الله لهم، فهو لا يخاف على نفسه بل يخاف عليهم.

ونلمح أنه يخرج نفسه من دائرة الخوف، فنجد الرجل الذي كتم إيمانه يخاطبهم بصفة النذير لهم، ويخشى أن يحلّ بهم ما حلّ في الأمم السابقة. فإن استمروا في الوقت الحاضر على ضلالهم وتكذيبهم حتى اليوم الآخر، وقتلوا موسى عليه السلام، فسوف يقع عذاب الله عليهم في الدنيا، كما أنهم سيواجهون أشد الحساب في الآخرة. فهذا الحجاج يهدف إلى الإنذار والترهيب والتخويف لعلّ المخاطب يرتدع عما يسلكه. فمهمة الأنبياء الإنذار والتبليغ. فحجاج مؤمن آل فرعون طريقة حاجج بها الأنبياء أقوامهم.

وتحمل الحال "مدبرين" سمة تداولية، فاقترانها بالمضارع " تولون" بعد لسانيّ يشير إلى الصورة التي بدت واضحة لمؤمن آل فرعون، حيث يصوّر لهم حالة الهلع التي سيكونون عليها عندما يقع عليهم عذاب الله وسخطه، ويساقون إلى النار. فالحال تدل على التقلب والاضطراب، وكذلك اسم الفاعل"عاصم" فإنه يدلّ على الحدوث والتجدد، حيث لا مانع يعصمهم من عذاب الله الذي سيواجهون ألوانا منه.

أمّا أسلوب الشرط الوارد ففيه بعد تداولي آخر "فالقضية الشرطية هي كل قضيّة لزم فيها الشرط لزوما منطقياً عن المشروط من غير أن يلزم فيها المشروط عن الشرط"[٥٥]. فالعلاقة الشرطية تتصف بخصائص معينة، وهي خاصية عدم التناظر "تتميز بكونها علاقة لها ترتيب مخصوص فسواء وقع الشرط في صدر الجملة أو في آخرها فإنّ له رتبة التقدّم، ولمّا كان المشروط متوقفاً حصوله على حصول الشرط وجبت تبعته له "[٥٦] وخير ما يدل على ذلك قوله تعالى: " من يضل الله فما له من هاد"، فيؤكّد هذا الأسلوب مجيء من ينصحهم ويقنعهم بأن موسى جاء بالصدّق، وبالبينات من عند الله عزّ وجلّ. ويشير فعل الشرط إلى زمان نصحهم وضلالهم هو الزمن الحاضر، وأما قوله: " فما له من هاد" فنفي الهداية عنهم تكون مستقبلية والمستقبل مجهول لا يعرف كيف يكون المصير الذي سيلقاهم، وفي ذلك ترهيب وتخويف من هذا المجهول.

حجاج المقارنة

يستمر مؤمن آل فرعون بحجاج فرعون وقومه ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾ (غافر:٣٤) مؤكداً صدق البيّنات التي جاء بها موسى عليه السلام، وذلك بمقارنة ما جاء به يوسف عليه السلام من بيّنات تدلّ على صدق نبوّته، ولم ينتفع بها بنو إسرائيل على الرغم من إقرارهم الخفي بها، ودليل ذلك أنهم قالوا "لن يبعث الله من بعده رسولا "وبما أنهم قالوا: " لن يبعث الله" فهذا يؤكد على معرفتهم بوجود الإله المتفرد بالألوهية التي ينكرونها.

فحرف التحقيق" لقد" والفعل الماضي المسند إلى ضمير جمع المخاطبين" جاءكم" يشير إلى تأكيد إنكار أسلافهم من بني إسرائيل دلائل نبوّة يوسف في الماضي، واستمرار من جاء بعدهم في الشك والإنكار للبيّنات التي يجيء بها موسى الآن. ويذكر سيد قطب أن هذا التذكير جاء لئلا يكرروا موقفهم السابق مع موسى عليه السلام[٥٧].

فاستخدام ضمير المخاطب في "جاءكم" و" فما زلتم" فيه بعد تداولي؛ وهو ربط الحدث الماضي بالحدث اللاحق بسمة مشتركة وهي الإنكار وعدم تصديق البيّنات، ومن ثمّ فإنه يشير إلى سمة الجحود عند المخاطبين التي لا تتغيّر مع مرور الأزمان، ومما يثبت وجودها تجددها فيهم. وقد تضمن التعقيب الوارد في نهاية الآية في قوله تعالى: " يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ

هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ " بالتصريح بلفظ الجلالة " الله" وجود طاقة تأثيرية وإقناعية كبيرة جداً، فالتصريح بكلمة " الله " هدفه تحقيق عمل فعلي لا قولي، حيث تؤدي اللفظة بوساطة مقتضاها المعجمي شرطاً من الشروط التمهيدية التي تمهّد لنجاح الرسالة. وهذا الشرط الذي يوفره المقتضى المعجمي هو أن الله هو المعبود، ولا معبود سواه، والمتلقي هو العابد، وهو تبعا لذلك ضعيف عاجز، وبذلك يتحوّل المقتضى المعجمي لمعنى كلمة " الله" في السياق الواردة فيه إلى مقتضى تداولي[٥٨]. وهو أنّه هو عزّ وجلّ الذي يخذل كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه[٥٩].

فالإسراف عجز والارتياب عجز كذلك عن إدراك الغاية من وجود الإنسان على الأرض، كما أنّه عجز عن إدراك قدرة الخالق، وفي هذه الآية تلميح إلى أن المقصود بالمسرف المرتاب هو فرعون الضعيف العاجز، أمام الحقّ الذي جاء به موسى، حيث أراد أن يقتله لعجزه عن الإتيان بدليل واحد على صدقه. أما قدرة الله فهي أعظم من إسرافه وشكّه الذي أضلّه الله به.

ويرد في قول الله عزّ وجلّ اسم الفاعل:" مسرف " وقد وظّف للوصف ليكون هذا الوصف حجة للوصول إلى النتيجة. إذ يشتمل على أمرين هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله، ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد. فاسم الفاعل مسرف مصاغ من فعل رباعي لم يستعمل للوصف فحسب، بل لمحاججة الآخرين أيضا[٦٠]. فالمسرف والمرتاب لا يهدي إلى سبيل الرشد، ولا يقود إلا إلى ضلال، كما أنّ الإسراف بالباطل هو علّة إضلالهم[٦١]. ونلمح في ذلك تحذيراً موجّهاً لأصحاب العقول النيّرة، علّها تتدبرّ مغازي وأبعاد هذا الخطاب. فحجاج المقارنة غير المباشر من أكثر أدوات الخطاب تأدباً؛ لأنّه يحترم أصحاب العقول، فالخطاب المباشر لا يكون إلا لمن خلا من التدبّر، والقدرة على الفهم السريع.

ونجد في هذا السياق أنّ الرجل المؤمن سلك طريقاً مختلفة عمّا كان عليه في السابق، إذ إنه في بداية الحجاج كان يكتم إيمانه، وفي مرحلة لاحقة أعلن إيمانه واتباعه لموسى، ففي كلامه نوع من التوكيد والتشديد والحرص على هداية قومه، ونجده يصرح بصدق البيّنات التي جاء بها موسى عليه السلام، وأنّ الله سيخذل كل مسرف مرتاب كفرعون.

- **الحجاج الجدلي**

يعدّ الجدل من أبرز آليات الحجاج، إلا أن الحجاج أوسع منه، فكلّ جدل حجاج. ويعدّ الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجاج. حيث يختلف نوع الحجج في كلّ منهما، فالحجاج سلسلة من الأدلة، وهذه الأدلة قد تكون استقراء أو قياساً ظاهراً، ومجال ذلك الجدل[٦٢]. ويكثر ورود الحجاج والجدل مترادفين عند القدماء. فالجدل هو القدرة على الخصام والحجة فيه هي منازعة بالقول لإقناع الآخرين. ويكون في الحقّ أو الباطل[٦٣].

لقد كان نزول القرآن على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلّم- موضع جدل عند المكذبين الذين لم يصدّقوا بنسبته إلى الله تعالى ولم تقنعهم دلائل نزوله من الله. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾(غافر: ٤) ففي هذه الآية استئناف بياني نشأ من قوله تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(غافر:٢(حيث ينشأ في ذهن المتلقي تساؤل ما بال هؤلاء المجادلين في صدق نسبة القرآن إلى الله لا تقنعهم دلائل نزوله من الله، فيجاب عليه؛ بأنه ما يجادل في صدق القرآن إلا الذين كفروا بالله[٦٤]. ودلالة استخدام حرف النفي "ما" أنها تأتي لنفي الحال[٦٥]؛ وذلك لاقترانها بالفعل المضارع، حيث تنفي عملية المجادلة المتكررة والمتجددة. وتحصرها في "الذين كفروا"، ودلالة هذا الاستخدام طول عهد التكذيب، والإنكار من الماضي حتى الحاضر، وهم يجادلون ويكذبون"في آيات الله"، "فالظرفية هنا تحوي جميع أصناف الجدل، واختلاف أحواله والمراد الجدال بالباطل"[٦٦]. وفي ذكر لفظ الجلالة " الله " تهويل وتعظيم للباطل الذي جاءوا به[٦٧].

ولكنّه عزّ وجلّ يجادلهم بالحق ليس كجدالهم بالباطل، حيث ينهى المتلقي عن الاغترار بما له من سيادة وتمكين وعلو ومهابة وتنقل في الأرض[٦٨]. وفي ذلك مؤازرة للرسول صلى الله عليه وسلّم فالله أعلم بحقيقة هؤلاء الكافرين، ويعلم ما هم عليه، وماذا أعدّ لهم جزاء على كفرهم ومجادلتهم في آياته.

فالله عزّ وجلّ ينهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن جدالهم، وفي نهيه نصح وتوجيه له بعدم الاغترار بما جعله الله لأولئك الكافرين من علو وتمكين في الأرض؛ لأنه يضرب له مثلهم، كمثل الأقوام التي كفرت من قبل، إذ قال تعالى:

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(غافر:٥) وفي ذلك توضيح لمصير الكافرين المجادلين بالباطل. وفي استخدام حرف الجر "الباء" دليل على استعانتهم بالباطل في جدالهم على الرغم من معرفتهم الحق وابتعادهم عنه، إذ قال تعالى: "ليدحضوا " والدحض هو الدفع فهم استعانوا بالباطل؛ ليدفعوا به الحق، ولكن ربّ العزة اختار الفعل " ليدحضوا "، لأنّ من معاني" الدحض" الزَّلق، فعند دفع الشيء يكون فيه شدة وغلظة، كما يكون فيه زلق، وفي ذلك احترام عظيم لفهم المتلقي، لأنهّ سوف يكون قادراً على أن يستحضر صورة ذهنية؛ فالزلق في الطين، يجري بشدة وبسرعة كلمح البصر، ولا يستطيع الإنسان الخروج منه إلا بعد شدة ومعاناة طويلة، وتظلّ آثاره عالقة به ولا يستطيع التخلص منها. فالزلق في الباطل والإثم سيقارنه بهذه الصورة الذهنية، لأنّ الإثم والباطل يبقى عالقاً في الإنسان ما لم يتب توبة نصوحاً. وهذا دليل على أن دفع الباطل بالحق فيه زلق لهم في الآثام والمعاصي، ومن ينزلق في الكفر لا نجاة له من العذاب إذ يقول الله تعالى:﴿ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ والأخذ هو

في الأصل القهر والغلبة. وهذا الفعل يظهر كيفية الأخذ، حيث كان فيه قهر وغلبة لأولئك الكافرين. ويأتي الاستفهام التعجبي في"فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" للتعجب من حالة العقاب، وذلك يقتضي أَنَّ المخاطب بالاستفهام قد شاهد ذلك الأخذ والعقاب، وبُني ذلك على ما شاهده من آثَار العقاب في ديار السابقين الذين حلّ بهم عقاب الله[٦٩]. وفي تنكير المصدر"عقاب " بُعد تداولي يشير إلى أنّ الله أنزل بهم أنواعاً من العذاب.

يقول سبحانه وتعالى في موطن آخر: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ (غافر:٣٥) "فاختيار المضارع في "يجادلون" لإفادة تجدد مجادلتهم وتكررها، وأنّهم لا ينفكون عنها. فالمجادلة هي تكرير الاحتجاج لإثبات ما يريده المجادل وإبطال إرادة من يخالفه، ثمّ أنّهم يجادلون بغير بحجّة، ولكنهم يجادلون باللّجاج والاستهزاء"[٧٠]. فالحجاج الجدلي في الآيتين السابقتين لم يكن نابعاً من عقول واعية مدركة معتمدة على أدلة مقنعة، وإنما جاء من قبيل الإسكات[٧١]. أي أنهم يجادلون جدلاً لا يثير العقول، ولكنّ جدالهم كان باطلاً. وإذا ما نظرنا إلى الحجاج في الآيتين السابقتين فإننا نجده جرى على طريقة الإخبار، فربّ العزّة يبيّن صورة هذا الحجاج، ومظاهره التي جرت بين الأنبياء والكفار.

النتائج

- وضعت الدراسة تعريفا لكلّ من مصطلحي الفاعلية والتدرّج كلّ على حده، ثمّ قامت بدمج المصطلحين مع بعضهما" فاعلية التدّرج " في تعريف واحدٍ مشترك جامعٍ لهما.
- يعدّ التصعيد أحد آليات الفاعلية، كما أنه يقوم على مبدأ التسلسل والتدرّج في استدعاء الأفكار من فكرة بسيطة إلى فكرة مركّبة أثناء عملية التخاطب. كما أن التصعيد آلية خطابية ذات اتجاهين، فقد يكون أحدهما سلبياً والآخر إيجابيّاً. ويعدّ وسيلة من وسائل الفاعلية التي تؤسس التواصل الفعّال بين المتخاطبين. إذ تشتمل سورة غافر على كثير من العبارات التصعيدية التي تشحذ الخطاب.
- اعتمدت آلية التصعيد على استخدام عدد من الصيغ اللغوية والأساليب اللغوية والمعجم في إثبات الفاعلية، وإبراز مواطن أدب الخطاب.
- الحجاج علاقات وبنى لغوية متسلسلة ذات أدلة عقلية مجردة وغير مجردة تتأثر بالسياق والمقام، فتخضع إلى الاستدلال والبرهنة المنطقية التي تعين على إدراك المقصود من الخطاب، لذا اشتملت الدراسة على أنواع متعددة من الحجاج منها: الحجاج المغالط، والحجاج التوجيهي اللساني، وحجاج التضليل، وحجاج الاستدلال، والحجاج الجدلي وكلّ هذه الأنواع كانت تعكس مدى فاعليّة الخطاب في إقامة الحجة والتأثير في المخاطبين وإقناعهم إقناعاً حسناً متلطّفاً.
- تجسدت الفاعلية في آليات التدرّج القائم على الترتيب المنطقي للخطاب، والتصعيد المبني على الانتقال من موقف إلى ما فوقه في شدة التأثير، وقوة الردع والمواجهة، والحجاج المكون من الأبنية اللغوية ذات الأدلة العقلية المرتبطة بسياق الخطاب ومقامه، فكان لكل آلية قدرة في إبراز الهدف الخطابي وفاعليته في تحقيق مقاصد الخطاب.

الهوامش

[١]. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، مادة (فعل)
[٢]. سعيد، جودت، الإنسان حين يكون كلّاً وحين يكون عدلا، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ط٣، ١٩٨٤، ص٩. ينظر بن سعيد، بن عوده، مدخل إلى دراسة مفهوم الفاعلية في السنة النبوية، ماليزيا، الجامعة الإسلامية، ص٦
[٣]. ينظر عشير، عبد السلام: عندما نواصل نغير، ص١٣٠
[٤]. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، تح أحمد عبد الغفور عطّار، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٧٩، مادة (درج)
[٥]. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير مادة (درج)
[٦]. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (درج)
[٧]. بن قاسم، عبد العزيز بن إبراهيم، الدليل إلى المتون العلمية، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٦
[٨]. ينظر عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص٩
[٩]. ينظر ابن منظور، لسان العرب، بيروت، مادة (صعد)
[١٠]. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (صعد)
[١١]. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (صعد)

[١٢]. انظر عمايرة، حليمة. تصعيد الخطاب في" سورة الكافرون": قراءة في ضوء لسانيات النص، المجلة العالمية لبحوث القرآن مج٢، عدد٢، ، ٢٠١٢، ص٣٥
[١٣]. الرقب، محمد سلمان مرزوق. ظاهرة التصعيد الخطابي في السور المكية المدثر والقيامة أنموذجاً، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص٢٤
[١٤]. ينظر القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. مج٨، ج١٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٨٩- ١٩٠
[١٥]. ينظر المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، بيروت، منشورات دار الكتب العصرية، ط١، ١٩٦٤، ص ١٢٥
[١٦]. ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٩٠
[١٧]. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٤٦
[١٨]. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص١٩٠
[١٩]. ينظر المرجع السابق، ص ١٩٠ - ١٩١
[٢٠]. الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج٢١، ص ١٣٣٠٢
[٢١]. ابن منظور،لسان العرب، مادة (مقت)
[٢٢]. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح عبد السلام هارون، الكتاب، ج٤، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣، ص٩٩- ١٠٠
[٢٣]. القرطبي، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص ١٩٣
[٢٤]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٦١
[٢٥]. الجارم، علي، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، مصر، مكتبة مركز الدراسات الإسلامية، ١٩٥٩، ج١، ص٢٠٨
[٢٦]. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص٢٠٢
[٢٧]. ينظر المرجع السابق، التحرير والتنوير، ج٢٤. ص ٢٤٣
[٢٨]. ينظر الجوهري، تاج العروس، مادة (حجج)
[٢٩]. ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)
[٣٠]. ينظر علوي، حافظ اسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته، الحجاج مدارس وأعلام، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٠، ص٥٧
[٣١]. ينظر الشبعان، علي، الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٦
[٣٢]. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٢٥
[٣٣]. المرجع السابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٢٥
[٣٤]. ينظر عمران قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص ٣٢- ٣٣
[٣٥]. ينظر المرجع السابق، ص٤٥
[٣٦]. المرجع السابق، ص٤٤- ٤٥
[٣٧]. ينظر الشهري عبدالهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٣٥٢
[٣٨]. ينظر صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ١٠١
[٣٩]. المرجع السابق، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص٩٧
[٤٠]. ينظر يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، دمشق، مكتبة الغزالي، ط١، ٢٠٠٠، ص١٢٨
[٤١]. ينظر عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب، ٢٠٠٦، ص ٢٠٩
[٤٢]. المرجع السابق، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص٧٦
[٤٣]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٢٩
[٤٤]. ينظر المرجع السابق، التحرير والتنوير، ج٢٤ ص ١٨٤ - ١٨٥
[٤٥]. ينظر المرجع السابق، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٨٦
[٤٦]. ينظر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص٤٤٦
[٤٧]. ينظر المرجع السابق، إستراتيجيات الخطاب ، ص٤٨٣
[٤٨]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٨٧
[٤٩]. ينظر عشير عبد السلام، عندما نواصل نغير، ص٧٦
[٥٠]. ينظر عمران قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص٤٥
[٥١]. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٨٧

[٥٢]. ينظر المرجع السابق، ص١٨٧
[٥٣]. ينظر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص٤٥٧
[٥٤]. ينظر المرجع السابق، ص٤٥٧
[٥٥]. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان، ص ٣٥٨
[٥٦]. ينظر المرجع السابق، ص ٣٥٩
[٥٧]. ينظر قطب، سيد ، في ظلال القرآن، ج١٩، ص ٣٠٨١
[٥٨]. ينظر صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص ١٠٤
[٥٩]. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، شرح يوسف الحمادي، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ٢٠١٠، ص١٦٦
[٦٠]. ينظر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٨٨-٤٨٩
[٦١]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٩٥
[٦٢]. ينظر صولة عبدالله، الحجاج في القرآن الكريم، ص ١٦- ١٧
[٦٣]. ينظر المرجع السابق، ص ١١
[٦٤]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٤٦
[٦٥]. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢، ص٣٢٣
[٦٦]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٤٧
[٦٧]. المرجع السابق، ص١٤٧
[٦٨]. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج٢١، ص ١٣٢٩٢ -١٣٢٩٢
[٦٩]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص ١٥٠
[٧٠]. المرجع السابق، التحرير والتنوير، ج٢٤، ص ١٩٥
[٧١]. المرجع السابق، التحرير والتنوير ج٤، ص١٩٥

مراجع

١. الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، **شرح الرضي على الكافية في النحو**، تقديم إميل بديع يعقوب، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧.
٢. الجارم، علي و أمين، مصطفى، **البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع**، ج١، مصر، مركز الدراسات الإسلامية، ١٩٥٩.
٣. الحلبي، السمين، الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم، **الدّر المصون في علم الكتاب المكنون**، ج٦، تح علي محمد معوض وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤.
٤. الحلبي، السمين، الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تح محمد التونجي، ج٢، بيروت،عالم الكتب، ط١، ١٩٩٣.
٥. الفخر الرازي، الإمام محمد فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، **مفاتيح الغيب**، ص٢٧، ج٢٧، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨١.
٦. الرقب، محمد سليمان مرزوق، **ظاهرة التصعيد الخطابي في السور المكية، المدّثر والقيامة أنموذجا**، الأردن، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠.
٧. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٨. الزمخشري. الخوارزمي، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج٤، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ٢٠١٠.
٩. سعيد، جودت، **الإنسان حين يكون كلّاً وحين يكون عدلاً**، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ط٣، ١٩٨٤.
١٠. ابن سعيد، بن عودة، **مدخل إلى دراسة مفهوم الفاعلية في السنة النبوية**، ماليزيا، الجامعة العالمية الإسلامية.
١١. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تح عبد السلام هارون، ج٤، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣.
١٢. الشبعان، علي، **الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل**، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠.
١٣. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مج٢١، مصر، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، ٢٠٠٠.
١٤. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.
١٥. صوله، عبدالله، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، بيروت، دار الفارابي. ط٢، ٢٠٠٨.
١٦. ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**. ج٢٤، بيروت، مؤسسة التاريخ، ب ت.

١٧. عبد الرحمن، طه، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠.
١٨. عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨
١٩. عشير، عبد السلام، **عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، المغرب،أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦.
٢٠. علوي، حافظ اسماعيل، **الحجاج مفهومه ومجالاته الحجاج مدارس وأعلام**، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٠.
٢١. عمايرة، حليمة أحمد، **تصعيد الخطاب في سورة الكافرون قراءة في ضوء لسانيات النص**، مج٢، العدد٢، المجلة العالمية لبحوث القرآن،٢٠١٢.
٢٢. عمران، قدور، **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني**، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٢.
٢٣. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج١، بيروت، المكتبة العلمية، د. ت.
٢٤. بن قاسم، عبد العزيز بن إبراهيم، **الدليل إلى المتون العلمية**، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١،٢٠٠٠.
٢٥. القرطبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، مج٨، ج١٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
٢٦. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مج٥، بيروت، دار الشروق، ط٢٢، ١٩٩٤.
٢٧. الكيلاني، ماجد عرسان، **التربية والتجديد والفاعلية عند العربي المعاصر**، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥.
٢٨. مجمع اللغة العربية.**المعجم الوسيط**.إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، ومحمد النجار. القاهرة، دار الدعوة، د.ت.
٢٩. المخزومي مهدي، **النحو العربي نقد وتوجيه**، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٤.
٣٠. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، تح محمد عبد الوهاب أمين وآخر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦.
٣١. ابن هشام الأنصاري، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر، ط٦، ١٩٨٥.
٣٢. يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، دمشق، مكتبة الغزالي، ط١، ٢٠٠٠.